



تجارب من الحوار الحضاري عبر التاريخ

د. جواد محمد الخالصي

رئيس الجامعة الخالصة





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام المجاهدين.

لقد بنيت كل الدعوات البشرية عبر التاريخ على بدايات حوارية؛ قام بها أصحاب تلك الدعوات أو الذين اقتنعوا بها؛ لإقناع أكبر عدد من الناس بصوابية الأفكار والمناهج العملية التي تؤسس عليها.

ورسالات السماء التي حملها الأنبياء العظام بنيت على نفس أسلوب الدعوة ومحاولات إقناع أوسع وبتحمل وصبر طويلين، ويتناسب كل ذلك والقناعة العميقة التي حملها الأنبياء الكرام عن تلك الدعوة وقديسية الواجب الملقى عليهم.

وقد تضمن القرآن الكريم إشارات واسعة لهذه الحوارات، بل وتعددت الإشارة إلى الحوار الواحد أحياناً؛ إذ تم ذكره بأساليب متعددة أو بواسطة مواقع مختلفة يمكن النظر منها إلى تلك الحوارات للحصول على أكبر قدر ممكن من التأثير الإيجابي الذي ينفع الإنسان ويسهل له طريق الوصول إلى الحق، وقد ورد من القرآن الكريم حوار نبي الله نوح مع قومه (سورة نوح الآية ٥ - ٢٠)، وحوار أبينا إبراهيم مع قومه وطغاة زمانه (سورة الأنبياء من ٥٢ - ٦٧) (وسورة الأنعام من ٧٤-٨٢) (البقرة ٢٥٨) وحوار موسى عليه السلام مع فرعون وملئه المتكرر في كثير من سور القرآن الكريم (الشعراء ١٨ إلى ٥١ والقصص وطه) وكذلك حوارات النبي الكريم عيسى (سورة النساء آية ١٧١ - ١٧٢ والمائدة آية ٨٢)، وصولاً إلى عصر خاتم



الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي بدأ دعوته مستجيباً لأمر ربه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وليس هذا الموضوع من المجهولات التي تحتاج إلى تكرار وتذكير، وإنما شرنا إليه في المقدمة لنقول: إن تجارب الحوار الحضاري، قد بنيت في ضوء الممارسة الإيمانية التي واكبت حركة الرسالات الإلهية.

وقد بنى العقلاء - من الناس ومن أتباع الرسل والأنبياء ومن غيرهم - طريق الدعوة على هذا المنهاج، وأدى هذا إلى قيام تجارب حوارية كثيرة في عصور التاريخ، وسأحاول الإشارة إلى عدة تجارب مدونة من التاريخ، بعضها مشهور، وبعضها مستور، لنصل إلى بعض تجارب الحوارات المعاصرة أو القريبة والتي تركت أثراً طيبة على واقع بعض المجتمعات الإنسانية، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية التي نعيش فيها :

- ١- حوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع نصارى نجران .
- ٢- حوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع نصارى الحبشة .
- ٣- حوارات أئمة آل البيت - مع الخصوم في داخل الأمة ومع الآخرين - الإمام الرضا والصادق -، كنموذج لحواراتهم مع أهل الأديان الأخرى، وحتى مع المنكرين لحقائق الدين من الدهرية والملاحدة والمشككين بنزول الوحي والقرآن، حتى كان الإمام الصادق (عليه السلام) يحاور بعض هؤلاء داخل المسجد الحرام، وله رسالة مشهورة مع الملاحدة أثبت فيها حقيقة الإيمان والتوحيد الخالص، كما أنه دخل المسجد ووجد مجموعة منهم يريدون التشكيك في كتاب الله الكريم، فوقف عليهم، وقرأ قوله تعالى:



﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجُنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨).

٤- الحوارات من أجل الوحدة والنهضة - كتاب (٢٧ شهراً في طهران) و(المراسلة الموجهة إلى رئيس وزراء إيران في الأربعينات وباقي أولياء الأمور في العالم الإسلامي) وما فيها من نقد الأفكار الهدامة ودعوات التغريب التي عصفت بالعالم الإسلامي آنذاك. ورسالة (أجيبوا داعي الله) المكتوبة في الخمسينات .

١- أشارت الكثير من التفاسير ومصادر السيرة إلى هذه الآية وإلى قصة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حوار مع نصارى نجران ، فقد تحدث النصارى بشأن المسيح عليه السلام وحقيقته، فعرض عليهم النبي ﷺ ما أنزل إليه من الحق، فأبى النصارى الإقرار بحقيقة المسيح الإنسانية، وأنه عبد الله تعالى، وجاء الشاهد في ضوء المقارنة مع أينما آدم عليه السلام، حيث ولد من غير أم ولا أب، فكيف تدعى الإلهية للمسيح دونه؛ مع أنه ولد من غير أب فقط.

وسنبداً بالإشارة السريعة إلى هذه الحوارات حوار نجران ، قال تعالى : ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٥٨-٦١).

أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص: لما نزلت الآية



دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي)).

وأخرج البخاري ومسلم أن العاقب والسيد أتيا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأراد أن يلاعنهما فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه، فوالله لو كان نبياً فلاعنا، لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا .

وورد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لأهل بيته: إن أنا دعوت فأمنوا أنتم، فامتنع النصاري، وقال كبيرهم: لا تفعلوا، لأنني أرى وجوها لو سألوها الله تعالى أن يزيل جبلاً لأزاله، فلا تباهلوا؛ فتهلكوا (١).

٢- عد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة وتحدث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه باسم المسلمين ورسالتهم مع النجاشي وما قرره النجاشي بعد ذلك من إيواء المسلمين وأعطاهم حريتهم؛ شكل ذلك الحوار بداية جميلة وأساساً متيناً لعلاقات المسلمين الفكرية مع المخلصين من أهل الأديان السابقة، الذين نرى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق؛ وعاد جعفر ومعه وفد من النصاري ومن أهل الحبشة وكانوا اثنتين وثلاثين شخصاً، كما قدم ثمانية أشخاص من الشام، وأظهروا إيمانهم بدعوة رسول الله ﷺ وأقروا بها (٢).

٣- بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان للائمة الهداة المهديين من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابة الأجلاء دور واضح في تثبيت المسيرة الإسلامية فكرياً وعقدياً والدعوة إلى الإسلام

(١) تفسير روح المعاني للألوسي المجلد الثاني ص ٢٥٤ .

(٢) روح المعاني - المجلد العاشر ج ١٩ - ٢٠ ص ٣٧٠ .



بالحكمة والموعظة الحسنة عن طريق الحوار الهادئ والجاد والهادف، والمنزه عن مرض المراء الذي نهينا عنه أشد النهي، وهو الجدل من أجل الجدل وإثبات صحة الموقف الذي عليه كل طرف دون الإذعان للحق الذي يبدو عند الطرف الآخر، فقد حاور الإمام علي عليه السلام كثيراً من علماء الأديان، وأجاب على أسئلة القسس والأحبار الذين وفدوا إلى المدينة في عهد الخلفاء بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان يتصدى للإجابة على كل الأسئلة المطروحة، كما كان يتصدى لدعم موقف الخلافة وتأييد خطواتها وترشيد قراراتها، ولهذا وردت العبارات المتكررة حول الإشادة بهذا الدور الفكري والفقهية الذي اعتبر وكأنه إنقاذ متكرر للمسيرة الإيمانية أو تأصيل متداول لمعالمها.

وقد جاء مجموعة من أحبار اليهود فسألوا علياً عليه السلام سؤالاً استفزازياً، حيث قالوا له وللمسلمين: (ما مات نبيكم حتى اختلفتم) فأجابهم عليه السلام جواباً ما أحوجنا نحن أهل العلم أو طلبة العلم إليه في هذه الظروف المستثارة التي تعج بالفتن والأزمات؛ كما تحتاج الأمة إلى هذه الإجابة فإنه عليه السلام قال وبعبارات وجيزة قاطعة: ((اختلفنا عنه، ولن نختلف فيه، أما أنتم فما جفّت أرجلكم بعد أن أنجاكم الله من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة))، فهذا الوصف الدقيق والتفريق بين الاختلاف في النبي كما فعل اليهود حين اختلفوا في توحيد الله وابتعدوا عن نبيهم وعقيدتهم، والاختلاف عن النبي ﷺ؛ أي الاختلاف فيما ورد عنه نقلاً أو فهماً، مع الاتفاق على الأخذ والالتزام بكل ما ثبت وروده عنه،



والإجماع على وجوب الالتزام بشريعته وسنته ، فهو اختلاف صغروي وليس كبروياً، كما يقول أهل المنطق .

وهذا الأساس الحوارى المتين هو الذي نحتاجه في كل حوار داخلي بين أبناء أمة الإسلام وأهل القبلة من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ونحتاجه كذلك في الحوار مع أهل الأديان السماوية ، وذلك للتأكيد على الالتزام بما جاء به الأنبياء الكرام وأخذ ما ثبت وروده عنهم، والأصل في ذلك هو التوحيد ومعرفة الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦) وقال علي عليه السلام: أول الدين معرفته (معرفة الله)، وقال الرضا عليه السلام: أول عبادة الله معرفته، وتمام معرفته توحيده .

حوارات معاصرة

يمكن الإشارة إلى مجموعة من الحوارات الداخلية والخارجية، منها الحوارات الإسلامية المتكررة التي تمت في الخمسينات وظهرت على شكل دراسات وأبحاث منها :

١-الجمعة الجامعة: وهو حوار وحدوي إسلامي واعى تم في مدينة الكاظمية ببغداد في يوم الجمعة ٣١-١٢-١٩٥١ ، وقد جرى خلال جمعة، وحضرها الإمام الشيخ محمد الخالصي والإمام الشيخ محمد سعيد العرفي من كبار علماء بلاد الشام ومفتي دير الزور ومنطقة الفرات إضافة إلى عدد كبير من أبناء الأمة القادمين من العراق ، وصدر عن هذا الحوار منشور تحت عنوان (الجمعة الجامعة)، وقد حوى المنشور دعوة صادقة لجمع كلمة أبناء



الأمة على أسس الإسلام الثابتة مع نبذ البدع والخرافات التي أدخلت إلى الإسلام وشوهت صورته وفرقت صفوف أبنائه .

٢- الوحدة الإسلامية أزهار وأوراد : وهو كتاب يؤكد على ثوابت الوحدة الإسلامية وأسس قيمها، ويرد على الشبهات التي أثرت آنذاك تمام دعوة الوحدة الحقيقية التي انطلقت في العراق آنذاك ، وتبلورت عن لقاءات متعددة في بغداد بين منطقتي الكاظمية والأعظمية، وبلغت أوجها سنة ١٩٥٣ في صلاة الجمعة الموحدة، حيث سار أهالي مدينة الكاظمية وما حولها إلى مدينة الأعظمية ، وأقيمت هناك صلاة الجمعة في مسجد الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) .

٣- رسالة أجيئوا داعي الله، وهي رسالة طبعت في سنة ١٩٥٤ م، وكانت دعوة حوارية مع طبقات واسعة من العراقيين ومن الناس والمسؤولين، وفيها مرتكزات بناء المجتمع الصالح عن طريق جمع كلمة الإنسان حول محور المعرفة والإيمان بالله الواحد الأحد ، والالتزام برفض التفرقة الطائفية ، واجتماع كلمة الناس حول الإسلام والشرع المقدس، وقد أعطيت هذه الرسالة في طبعتها الأخيرة سنة ٢٠٠٤، لوزير من وزراء الأوقاف في أحد البلدان العربية الإسلامية، فأخبرني الوزير المحترم خلال لقاء آخر أنه قرأ الرسالة بإمعان، فأخبر رئيس دولته وبعض المسؤولين بها في جلسة خاصة بعد أن أعطاهم الرسالة، إنها قراءة كتبت في العراق في الخمسينات، ولكنها صالحة لكل العالم الإسلامي، وفي شتى الازمة، وخصوصاً عصرنا الحالي .

ورد في هذه الرسالة مجموعة مطالب مع مقدمة مهمة فيها للتذكير



والتحذير، وكان أهم المطالب :

- أ. وهو أهم الأمور (هكذا ورد في الرسالة) السعي إلى توحيد كلمة المسلمين ومقاومة مفرقي الكلمة، إذ مع تفرق المسلمين لا يمكن أن تخفق لهم راية، ولا تعاد فلسطين ولا تبعد دعاية الشيوعيين ولا تزول وطأة الاستعمار، فالأصل توحيد كلمة المسلمين وجعلهم كتلة مترابطة واحدة يشد بعضهم أزر بعض.
- ب. القضاء على النعرة القومية (العنصرية) لأنها تنافي المبدأ الإسلامي، وإنما أوجدها المستعمرون للقضاء على وحدة المسلمين وتمزيقهم وتشيت صفوفهم، ليسهل عليهم التعرض لهم وانتقاص أطرافهم.
- ج. إلغاء جميع المعاهدات التي قيدت العراق بقيود العبودية للمستعمرين (وهذا يذكرنا بالضبط بما يجري اليوم).
- د. القضاء على النعرة الطائفية التي بثها المستعمرون بين المسلمين؛ فإنها داء يفتُّ في الأعضاء... وما دامت الطائفية ملتهبة الضرام فإن البلاء عن الإسلام لا يزول. (وهذا تحذير مهم نتحسس آثاره في العراق اليوم وفي عموم المنطقة)^(١).
- هـ. السعي لإيجاد المحبة بين أهل العراق وغيره، وتكثير أصدقائه.
- و. معاقبة الكاذبين الذين يكذبون على الطوائف الإسلامية بأي شكل كان... لأن الكذب على الطوائف الإسلامية يوجب إثارة الحفائظ والأخذ والرد والتفنيد والتصويب والتزييف، وفي هذا ما فيه من الإخلال بوحدة الأمة واجتماع كلمتها^(٢).

(١) رسالة أجييوا داعي الله ص ٣١ - ٣٣ .

(٢) رسالة أجييوا داعي الله ص ٣٤ .



٤- حوارات متعددة بين أهل العلم ، وهي حوارات هادفة كانت تجري بشكل مستمر، وأدت إلى تقارب وجهات النظر وتصحيح التصورات وحرص الصفوف ، ولم تكن الغاية إلا الوصول إلى الحقيقة الجامعة الموحدة، ولم تكن الغاية نشرها بين الناس بشكل كامل، لأن صدور العلماء تستوعب النقاش العلمي الصريح، وهو ما لا يستوعبه عموم الناس ولا يحتاجون إليه، وإن كان بعضها قد نشر أو تسرب بقصد أو بغير قصد، فقد جرت هذه الحوارات في الأزهر وفي الشام وفي بيروت إضافة إلى العراق وبين كبار العلماء كالخالصي والزهاوي والواعظ والبدرى والبيطار والبشري وشلتوت والخفيف والكاشاني وغيرهم من كبار علماء العالم الإسلام الحريصين على نهضته وحفظ وحدته، وهناك وثائق كثيرة لم نتمكن من الوصول إليها في هذه الظروف خصوصاً مع المدة المتاحة لكتابة هذا البحث .

٥- المشاركة في الندوات العلمية والحوارات الفقهية مثل مجمع البحوث الإسلامية منذ الستينات وإلى سنة ٢٠٠٤ واستمرار اللقاءات على هذه الأسس في ندوات التقريب والوحدة الإسلامية، وقد طبع بحث مميز باسم الإسلام (توحيد ووحدة) يحوي أسس ومفاهيم الحوار الإسلامي، لتأكيد وحدة الأمة وتأسيس ارتباطها برسالتها المقدسة والإسلام الموحد الإنساني الجامع لأبناء في كل مكان.

٦- كما تمت حوارات معاصرة ومثمرة مع أبناء الأديان على أسس الدعوة القرآنية في الاجتماع على كلمة سواء في العراق وأنحاء أخرى من العالم، وكان هنالك لقاء مميز في الفاتيكان سنة ١٩٧٨ ، حيث التقى سماحة الإمام



الشيخ محمد مهدي الخالصي مع البابا بولص السادس، وهو ما سيأتي ذكره ضمن المحاضرة المهمة التي أُلقيت في كنيسة القديس جاد التاريخية من مدينة ليدز شمال إنجلترا بتاريخ ١٥ - من شهر صفر ١٤٢٣ - ٢٨ نيسان ٢٠٠٢ - ، كما استمرت الحوارات في اللقاءات العالمية بين رجال الأديان السماوية الثلاث وبعض الأديان الأخرى كالبوذية وغيرها، وتمت هذه اللقاءات عن طريق جمعيات دينية معروفة منها جمعية سانتيجيديو المؤسسة في مدينة روما، وقد تمت اللقاءات في مدينة ميلانو الإيطالية وليون الفرنسية ونابولي وأماكن أخرى في العالم الغربي؛ إضافة إلى لقاءات متواصلة مع أبناء الأديان السماوية في بلادنا العربية والإسلامية.

وقد ارتكز الحوار من جانبنا على قضية مركزية وهي أن الأديان السماوية يجب أن تلتقي على قيم العدالة ورفض الظلم كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

وأشرنا إلى نقطة مهمة وهي أن أهل الأديان ورجالها - وفق المصطلح المعروف - لا يمكن ولا يصح أن يكونوا غطاء للظلم أو ممارسات الساسة، ولا يليق بهم أن يكونوا تابعين، بل واجبهم يلزمهم أن يكونوا قائمين بأمر الحق، حاكمين على السياسة وأهلها التابعين لها ولهم.

وقد أكدت في كلمة مركزة في مؤتمر الأديان في مدينة ليون الفرنسية سنة ٢٠٠٥ على هذا الأمر وأن تحقيق العدالة واجب أساسي لتحقيق السلم، ولا يمكن أن يكون هنالك سلم مع الظلم، وتأكيدنا هنا على قضية احتلال العراق



ورفض الادعاءات المفتعلة لهذا العدوان، ورفض أهل العراق مجتمعين للفتنة الطائفية، والتي هي ليست إلا واحدة من إفرازات المحتلين وصنائعهم، وحول فلسطين أكدنا أن من يأتي ممثلاً لدولة إسرائيل لا يمكن اعتباره ممثلاً للدين، ولو كان هو الحاخام الأكبر، لأن من يرضى بالظلم الذي تمارسه الدولة الصهيونية بحق أبناء فلسطين وباقي أبناء الأمة لا يحق له ادعاء تمثيل الدين، ويمكننا نحن أن نلتقي بيهودي يرفض الظلم ولا يقره، كما نرفض نحن الظلم الذي يمكن أن يمارسه نظام حاكم في أي بلد، فضلاً عن الاحتلال الأجنبي.

وقد اعتبرت هذه الكلمات حديثاً متطرفاً في نظر البعض، مما أدى إلى حصول مجادلات كلامية لاحظنا خلالها أن بعض الحاضرين أو بعض التجمعات تميل إلى تبرير إيجاد الكيان الصهيوني، ولو من طرف خفي، وتتحاشى الإجابة بشكل معتمد وغير لائق بأهل الأديان عن أكبر مآسي الإنسانية في تاريخها المعاصر، وهو الظلم الذي حاق بالشعب الفلسطيني الشقيق.

نذكر هذا ونحن نعيش ذكرى مرور ستين عاماً على نكبته القاسية والأليمة والتي يبشر البعض من الساسة الظالمين باستمرارها إلى ستين سنة قادمة .

